كتاب الحماسة للشاعر أبي تمام
دراسة تاريخية - تحليلية

أحمد الأمين - جامعة الجزائر

مختارات من أشعار العرب جمعها شاعر فذ مراعيا في ذلك الجودة لا غير، وقد وفق في عمله هذا باجماع النقاد والأدباء، لذلك كان الأساتذة القدماء يكلفون طلبتهم بحفظ كل مقطعاته.

فالمفروض إذن أن يبرمج هذا الكتاب ضمن وحدة مصادر الأدب والشعر وأن يكلف الطلبة بحفظ البعض من مقطعاته على الأقل لنربي في نفوسهم الذوق الشعري من جهة والاحساس بموسيقى الشعر عوض أن نلقنهم علم العروض جافا من جهة أخرى، خصوصا وان المقطوعات التي يضمها هذا الكتاب متنوعة في معانيها في صورها وأوزانها.

ما معنى الحماسة؟ ولماذا سمى أبو تمام كتابه بالحماسة رغم أنه يضم أغراضا أخرى؟

الحماسة: الشدة في الأمر والشجاعة، والفعل منه حمس يَحْمَسُ أي اشتد وصلب في القتال، ورجل أحْمَس وحميس شجاع، متشدد على نفسه في الدين والقتال...

وكانت العرب تسمي قريشا حُمْسا لأنهم كانوا يبالغون في التعصب لدينهم ويتشددون على أنفسهم في الدين. وقيل سموا كذلك لاعتصامهم بالحمساء أي الكعبة ووصفت بالحمساء لشدة بنائها وصلابة حجرها، ويقال سنة حمساء أي شديدة، وسنون أحامس وحُمْس.

وقالوا : «وقعوا في هند الاحامس» إذا اشتد عليهم الأمر أو وقعوا في بلية، وقالوا: «بقي فلان هند الاحامس» إذا اشتد عليه الأمر ومات، وبنو هند قوم من العرب عرفوا بالشجاعة فسموا بالاحامس.

والاحامس كذلك الأراضي الجدبة التي ليس بها مرتع.

والحماسة فن من فنون الشعر يكون الحديث فيه عن الشجاعة والحروب وهي عند البديعيين أن يصف الشاعر نفسه بالشدة والشجاعة وبهذا المعنى سمى أبو تمام كتابه.

لاشك أن أبا تمام حين عمد إلى تدوين مختاراته ، لم يقصد بهذا العمل جمع الشعر وإنما توخى الاختيار كما فعل قبله المفضل الضبيّ في مفضلياته والاصمعي في اصمعياته. غير أن أبا تمام يختلف عنهما في كونه اختار مقطوعات متفاوتة في الطول والقصر ثم أحدث فكرة التبويب فاختار مقطعاته من موضوعات شتى رتبها على عشرة أبواب: الحماسة - المراثي - الأدب - النسيب - الهجاء - المديح والاظياف - الصفات - السير والنعاس - الملح - مذمة النساء.

وسمى كتابه بأول باب في الديوان، ولعل أبا تمام كان متأثرا بما سبقه من مؤلفات؛ فقد شاع في العصر العباسي ان يسمى الكتاب بأول باب فيه كما فعل الخليل بن أحمد في كتابه (العين).

ولماذا نذهب بعيدا فإن القرآن الكريم الباعث الأول للثقافة العربية الاسلامية لم يؤثر على أساليب الأدباء، والكتاب فحسب -بل أحدث تأثيرا آخر يتمثل في التأليف وتسمية الكتب فقد كانت السورة تسمى بأول آية في أولها كسورة الملك أو في وسطها كسورة النمل أو في آخرها كسورة الشعراء.

وخالف أبو تمام سابقيه في نقطة أخرى، فكان يختار الجيد من القصائد الطوال في جمع مقطعاته حتى أنه أحيانا يختار البيتين أو الثلاثة من القصيدة الطويلة.

ولاشك أن ثقافة أبي تمام الواسعة بالشعر العربي قد ساعدته على التصنيف والاختيار، كما أمدته بالمقاييس التي بنى عليها اختياره للجيد من الأشعار. فقد كان شاعرا ممتازا يعد من أكبر شعراء المعاني والبديع. وكان رائد مدرسة جديدة تعنى بتجميل الشعر وترصيعه بمختلف الأوجه البديعية والمحسنات اللفظية.

ولقد عاش أبو تمام في فترة ازدهار الثقافة العربية ونضوجها، وفي عصر كانت الثقافتان الفارسية واليونانية قد أخذتا سبيلهما إلى الشعراء والكتاب وكان شاعرنا كما قيل عنه «يأخذ نفسه بثقافة واسعة حتى قالوا إنه عالم، وقالوا ان شعره يعجب أصحاب الفلسفة والمعاني»(1).

وكان على الخصوص كثير النظر في الشعر القديم حتى «قيل أنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير المقاطيع والقصائد»(2).

هذه الصفات التي تميز بها أبو تمام وتفرد بها دون معاصريه من الشعراء هي التي ساعدته وحملته على التصنيف وجمع الجيد من أشعار الجاهليين والاسلاميين والمولدين معتمدا في ذلك على شاعريته الفذة، وذوقه الرفيع، وخبرته بأذواق القراء ومعرفته الواسعة بالشعر العربي.

ولأبي تمام كتب أخرى كلها مختارات ذكر التبريزي في مقدمته لشرح الحماسة: «انه صنف خمسة كتب منها كتاب الحماسة وذكر د. طه حسين، أنها ستة منها الحماسة واختيار من شعراء الفحول واختيار من شعراء القبائل واختيار من شعراء المحدثين.. وله كتاب الوحشيات ونقائض جرير والأخطل»(3).

وكتاب الوحشيات أقرب كتبه إلى ديوان الحماسة فقد صنفه الشاعر وبوبه على غرار الحماسة فرتبه إلى عشرة أبواب واختار مقطعاته من نفس الموضوعات.

شهرة كتاب الحماسة وأثره على حركة التأليف:

كل مختارات أبي تمام الآنفة الذكر لا تصل إلى منزلة مااختاره في كتاب الحماسة. فقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة حتى قالوا: «إن أبا تمام في جمعه للحماسة أشعر منه في شعره... » وشهد له العلماء والنقاد والأدباء بغزارة علمه ودقة ذوقه الأدبي.(4)

ولعل المرزوقي وهو من أبرز شراح الحماسة، يصور لنا إعجابه وإعجاب النقاد بهذه المختارات فيقول: «وأما تعجبك من أبي تمام في اختياره هذا الموضوع وخروجه عن ميدان شعره ومفارقته ما يهواه لنفسه واجماع نقاد الشعر بعده على ما صحبه من التوفيق في قصده، فالقول فيه أن أبا تمام كان يختار ما يختار

لجودته لا غير...» «... بل اكتشف في دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرمهم وإسلاميهم ومولدهم، واختطف منهم الأرواح دون الأشباح، واخترق الأثمار دون الأكمام، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه، لأن ضروب الاختيار لم تخف عليه وطرق الاحسان - والاستحسان لم تستتر عنه»(5).

يعتقد إذن أنه ليس من المبالغة في شيء إذا قلنا أن أبا تمام قد خلق أولا حركة نقدية حول شعره إذا انقسم النقاد في الحكم على إبداعه، ففريق رفعه إلى الذروة وفريق آخر انتقص شاعريته وان لم ينكر عليه اصالته، ثم صنف فبعث ثانيا حركة تأليفية بفضل توفيقه في المختارات التي ضمنها ديوان الحماسة وتتمثل هذه الحركة فيما يلي:

1 - كلنا يعلم أن الكثير من الأدباء دفعهم إعجابهم بجودة ما في كتاب الحماسة من أشعار إلى معارضته مع محاكاة صاحبه في طريقة التصنيف والتبويب فظهرت مجموعات كثيرة عرفت بالحماسات؛ ذكر منها صاحب كشف الظنون ثمانية رتبها حسب وفيات أصحابها.(6)

لكن هذه المجموعات التي صنفها أصحابها متأثرين بعمل أبي تمام نظروا إلى المعاني الجزئية وجعلوها أساس التقييم فكثرت عندهم الأبواب كما فعل البحتري في حماسته التي قسمها إلى 174 بابا.

2 - إلى جانب هذه المجموعات - التي صنفها أصحابها محاكاة لحماسة أبي تمام - نجد نوعا آخر من التأليف تدور كلها حول نفس الديوان ونقصد بذلك شروح الحماسة. ذلك أن إعجاب القدماء بهذه المختارات دفعهم إلى دراستها، فاهتم بها النقاد والأدباء وعلماء اللغة وتناولوها بالدراسة اللغوية والاعراب تارة

وبالتحليل الأدبي وذكر أخبار الشعراء تارة أخرى، فكانت لنا بذلك شروح كثيرة ذكر منها صاحب كشف الظنون عشرين ممن شرحوها.

ونجد لكتاب الحماسة شهرة أخرى تتمثل في ميادين التفسير واللغة وعلومها. فقد كان مرجعا للنحاة وعلماء اللغة والتفسير. يعودون إليه للاحتجاج والاستشهاد فكتب النحو والتفسير مليئة بأشعار الحماسة. فهذا الزمخشري المعتزلي الذي كان إمام عصره في اللغة والنحو والبيان والتفسير يشهد لأبي تمام بالمقدرة والثقة، فقد قال بعد أن استشهد ببيت من شعره في تفسير أوائل البقرة من كتابه الكشاف. «وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل على هذا بيت الحماسة فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه»(7).

نظرة تحليلية إجمالية لموضوعات كتاب الحماسة:

يقول الأستاذ أحمد أمين في كلمة خصصها لتصدير كتاب الحماسة شرح المرزوقي: «... وقد جرى المؤلفون على هذا النمط في عصور التاريخ إلى ظهور مختارات البارودي وهو تقسيم ليس منطقيا كالذي اتبعه الافرنج في تقسيم الشعر إلى شعر طبيعة وشعر انسان وشعر الهي مثلا... والا فأيّ منطق في باب الأدب وباب الاظياف وباب النسيب».

لكن الاستاذ أحمد أمين لم يأت بالبديل فما هو المنطق الذي يريده؟ هل يحبذ أن يكون الاختيار عشوائيا؟ فالعرب أنفسهم قبل تدوين الشعر كانوا يطلقون هذه التسميات انطلاقا من الموضوعات التي تضمنها شعرهم واذن فان أبا تمام لم يخرج عن طبيعة الشعر العربي ومنطقه ان كان للشعر منطق؟!

الذي يبدو لي أن ما فعله أبو تمام في هذا الديوان يعتبر خدمة جليلة قدمها لعلماء اللغة والأدباء والمفسرين اذ سهل على الدارس العثور بسرعة على الشاهد الشعري المنشود، ولعله أدرك ذلك لأنه عاش في فترة ازدهرت فيها حركة التأليف والتدوين والترجمة... ورأى أن علماء اللغة وغيرهم كانوا يملأون كتبهم بالاستشهادات من الشعر القديم لشرح لفظة من الألفاظ أو الحديث عن فن من فنون الشعر العربي ولعل هذا هو السر - بالاضافة إلى المميزات الآنفة الذكر - الذي جعل العلماء يلجأون إلى الاستشهاد من كتابه.

لكن الذي يلفت الانتباه لا يكمن في المنهج والتبويب فقط وإنما في ترتيب الموضوعات. وكان أبو تمام قد اطلع على الأدب اليوناني فحاول أن يقسم الشعر إلى موضوعات تتصل بالمأساة وأخرى تتصل بالملهاة والا فما السر في أن تكون لموضوعات الأبواب الأولى علاقة بمأساة الانسان العربي عموما والبدوي على الأخص ثم يختمها بموضوعات تتصل اتصالا مباشرا بالكوميديا أو الملهاة خصوصا في البابين الآخيرين: الملح - ومذمة النساء اللذين ضمنهما مقطوعات مثيرة للضّحك كما سنرى.

لا أعتقد أبدا أن ترتيبه هذا جاء من باب الصدفة، وليس من باب الصدفة أيضا أن يبدأ بالشعر الحماسي وهو الباب الذي أخذ حصة الأسد من مختاراته ويثني بالرثاء وهو فن يتناول موضوع بكاء الموتى الذين هلكوا في الحرب.

ففي مختارات الحماسة تتكرر المفردات التي لها علاقة بالحرب: ساحة الوغى - الضرب - السيوف - الاعناق - الدم ... الموت - الخطوب.

وتأتي مختارات المراثي بعد الحرب لتصور الفاجعة: فالبكاء عند الجثث والقبور، النعش، الأعناق، القتلى، الجراح، السبايا... مع تكرار بعض العبارات التي توحي بالنواح.

إذا انتقلنا إلى النسيب الذي أعطاه الشاعر أهمية كبرى إذ يأتي - في عدد المقطوعات - في الدرجة الثانية بعد الحماسة والمراثي في الدرجة الثالثة - نجد الشاعر أبا تمام يميل إلى اختيار مقطوعات تتضمن الحب اليائس الباكي فنادرا ما نجد مقطوعات تتضمن وصف محاسن المحبوبة ولعل أبا تمام كان يميل إلى ما عرف بالشعر العذري الذي نجد فيه الحديث عن الشوق ولوعة البعد. وأغلب شعراء هذا الباب من البدو كما سنرى في بقية الأبواب أو الأغراض الشعرية.

وإذن فإن أبا تمام قد أعطى أهمية قصوى للأبواب الثلاثة الأولى من حيث الكم والكيف وهي في نظري تصور مأساة الانسان العربي أصدق تصوير.

وعندما انتقل إلى ما زعمت أو ما استنتجت من أنه بدأ حماسته بالمأساة وانهاها بالملهاة نجد ذلك يتمثل في الأبواب التالية: الصفات - السير والنعاس - الملح - مذمة النساء. فالمقطوعات التي تضمنت هذه الأبواب - خصوصا البابين - الأخيرين تمثل في نظري الكوميديا أو الملهاة وأكثر من ذلك أن الشعراء الذين اختار لهم في هذه الأبواب كانوا يقصدون التفكه والضحك بل ونشعر أنهم يتعمدون إضحاك المستمع.

يفتتح أبو تمام باب الملح ببيتين قالهما أحد الشعراء للمهلب بن أبي صفرة وقد طلب منه أن يدخل المعركة التي كانت قائمة بينه وبين الخوارج يقول:

يقول لي الأمير بغير جرم　　تقدم حين جدّ بنا المراس

فمالي ان أطعتك من حياة ومالي غير هذا الراس راس

ويثني بمقطوعة لامرأة كانت قد تزوجت شابا واستطابت عيشها معه ثم طلقها وتزوجت شيخا من أهل المدينة إلا أن صحبته لم تلائمها فقالت:

فقدْتُ الشيوخ وأشياعهم وذلك من بعض أقواليه

ترى زوجة الشيخ مغمومة وتمسى لصحبته قاليه

وان دمشق وفتيانها أحب إلينا من الجاليه

نكحت المدينة إذ جاءني فيا لك من نكحة غالية

فهي في الأخير تعرض بهذا الشيخ المنسوب للمدينة حينما خطبها وكانت تزويجة غالية خاسرة لأنه لم يكن مشاكلا لها.

وفي هذا الباب مقطوعات كثيرة تتحدث عن العلاقات بين الرجل والمرأة والمليئة بالكلمات النابية المقصود منها التندر والضحك.

ويختم أبو تمام مختاراته بباب أسماه مذمة النساء وهي عبارة عن مقطوعات تتضمن سخرية لاذعة ومثيرة للضحك.

لكن السؤال المطروح هو أنه لماذا لم يلحق هذه المختارات بباب الهجاء؟ ولماذا أسماه مذمة النساء!

الجواب على ذلك في نظري أن الباب المخصص للهجاء يحتوي على أشعار لها علاقة وثيقة بالشعر الحماسي. إنها الحرب الكلامية إن صح التعبير خصوصا إذا علمنا أن للكلمة مكانتها في المجتمع العربي وأنها أقسى على الفارس العربي من طعنة السيف إن كان المقصود هنا الحط من شأنه، ورب كلمة تثير حربا ضروسا.

وقد أدرك الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك فتسلح بالكلمة بل كانت سلاحه الأول. لكنه تسلح بالكلمة الطيبة؛ أليس هو القائل «إن من البيان لسحر وان من الشعر لحكمة أو لحكما». وعندما شن عليه مشركو قريش حربا كلامية للنيل منه ومن صحابته - جند لذلك شاعره حسان بن ثابت وغيره للرد عن ادعاءاتهم.

وإذن فإن القارئ لمختارات باب الهجاء في كتاب الحماسة يلاحظ أن أغلبها سواء كانت من العصر الجاهلي أو الأموي لا تكاد تفصل عن باب الحماسة.

من هنا ندرك لماذا فصل هذه المختارات عن الهجاء ولماذا سماها مذمة النساء. انه فصل الجد عن الهزل، فصل الشعر التراجيدي عن الشعر الكوميدي خصوصا إذا علمنا أن المرأة لا تدخل في الشعر الهجائي المتصل بالحروب والحط من شأن الخصم فارسا كان أو قبيلة، وإنما تدخل في المذمة المتصلة بالقبح الجسدي، لذلك نجد في هذه المقطوعات صورا تتصل اتصالا مباشرا بما نسميه الآن الفن الكاريكاتوري الذي ازدهر في ايطاليا مع نهضة الفن ثم أصبح فنا من فنون الصحافة بحيث أصبح الرسام الكاريكاتوري يلخص مقالا سياسيا في رسوم تبدو بسيطة لكنها غاية في العمق والدقة.

والشعر في هذا الميدان كان أسبق من الريشة وقد برع الشعراء العرب في مثل هذه الصور وفي كتاب الحماسة مقطوعات يستطيع الرسام الكاريكاتوري أن يحاكيها في يسر بريشته مثل هذه الأبيات:

ألم بجوهر بالقضبان والمدر

وبالعصي التي في روسها عجر(8)

ألم بها لا لتسليم ولامقة(9)

الا ليكسر منها أنفها الحجر

ألم بوطباد(10) في اشداقها سعة

في صورة الكلب إلا أنها بشر

حدباء وقصاء(11) صيغت صيغة عجبا

وفي ترائبها عن صدرها زور

يقول: لا تزر هذه المرأة الا ومعك عصا وحجارة لضربها ولا تكن زيارتك لها لتسليم أو محبة وانما لكسر أنفها وذلك لانها بشعة الخلق كبيرة الفم تشبه الكلاب. انها معوجة الظهر قصيرة العنق مائلة عظام الصدر... وهي أعجوبه من عجائب الدهر.

وقال آخر:

رقطاء حدباء يبدي الكبد مضحكها

قنواء بالعرض والعينان بالطول

لها فم ملتقى شدقيه نقرتها

كان مشفرها قد طرّ من فيل

أسنانها أضعفت في خلقها عددا

مظهرات جميعا بالرواويل

يقول: إن طول أنفها قد بدا بالعرض وعرض عينيها قد بدا بالطول فصار الحسن قبحا وأن فمها في السعة بلغ نقرة قفاها وأن شفتها غاية في الغلظ كأنها قطعة من شفة الفيل أما أسنانها فهم على غير النسبة المعتادة المألوفة.

أعتقد أن هذه الصور كافية لتؤكد ما قلته سابقا من أن أبا تمام كان يقصد ذلك فالتبويب كان وسيلة وليس غاية.

بعض القيم الاجتماعية البدوية في مختارات الحماسة:

جمع أبو تمام مختاراته هذه ذخيرة أدبية في موضوعات شتى تتصل بضروب الحياة عند العرب وتصور في حرارة كل ما أحس به أجدادنا وكيف عاشوا. وقد ركز على شعر البداوة الذي كان دائما وليد العاطفة لا وليد التأمل الفكري كما هو الحال في شعره وشعر معاصريه.

فجمال هذه النصوص وغناها يكمن في العاطفة التي تسيطر عليها فنحن نقرأ في هذه النصوص كل ما أحس به أسلافنا قبل أن تتسرب الحضارة إلى بيئتهم، كما نقرأ من خلالها عاداتهم وقيمهم الاجتماعية والاخلاقية في ظل النظام القبلي الذي ساد الجزيرة العربية عصورا طويلة. إذ كانت القبيلة تعتبر نفسها أمة قائمة لذاتها وعلى كل فرد من أفرادها أن يعمل لصالحها وهي بدورها تحميه وتدافع عنه، وعن حقوقه.

وقد ازدهر الشعر الحماسي أو الملحمي لأن العلاقة بين القبائل كانت تقوم في أغلب الأحيان على العداء لأسباب اقتصادية فنتج عن ذلك حروب كثيرة، عرفت بأيام العرب وقد دوّن أبو تمام الكثير من الأشعار التي تتحدث عن ذلك.

من الطبيعي إذن في هذا النظام أن يكون الشاعر لسان قبيلته الناطق بمفاخرها الذائد عن حياضها وكان فعلا في مستوى النهوض بما يتطلب منه واجبه نحو قبيلته وكان يرى أن ما تمليه عليه صفة الانسان القبلي أن يفرح لفرح

قبيلته ويغضب لغضبها، والقارئ للشعر الجاهلي لا يكاد يلمح أثر الفردية فيه، والشاعر قلما يتكلم بلسان شخصه خصوصا إذا تعلق بموضوع الحرب والهجاء والفخر... وأشعار أو مختارات أبي تمام تحتوي على الكثير من هذا النوع، حيث الشاعر يتحدث على لسان قبيلته مستعملا نون الجمع من ذلك قول الفند الزماني في حرب البسوس:

صفحنا عن بني ذهل ... وقلنا القوم اخوان

عسى الأيام أن يرجعن ... قوما كالذي كانوا

فلما صرح الشر ... فأمسى وهو عريان

ولم يبق سوى العدوان ... دناهم كما دنوا

مشينا مشية الليث ... غدا والليث غضبان

المقطوعة مازالت طويلة، وقد أوردنا هذه الأبيات ليلاحظ القارئ أن نون الجمع تتكرر في كل بيت وأحيانا في كل شطر.

ويأتي بمقطوعة أخرى يقول أنها لبعض بني قيس بن ثعلبة نورد منها هذه الأبيات

أنا محيوك يا سلمى فحيينا

وان سقيت كرام الناس فاسقينا

وان دعوت إلى جلىّ ومكرمة

يوما سراة كرام الناس فادعينا

إنا بنى نهشل لا ندعي لأب

عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

ويذهب أبو تمام إلى أبعد من ذلك فيختار مقطوعة يتحدث فيها الشاعر عن انتمائه لقبيلته وتعصبه لها ولو كانت على باطل حتى ولو ان عنادها أودى بحياة أخيه ويؤكد انتماءه بقوله:

نصحت لعارض وأصحاب عارض

ورهط بني السوداء والقوم شهّدي

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجّج

سراتهم في الفارس المسرّد

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى

غوايتهم وأنني غير مهتدى

إلى أن يقول:

وما أنا إلاّ من غزية إن غوت

غويت وان ترشد غزية أرشد

آنه مع قبيلته ظالمة أو مظلومة وانه معها في ساحة الغي والرشاد فغوايته ورشاده متعلق بهم.

واضح أن هذه الأبيات التي اقتطفناها من مقطوعة طويلة لا تحتاج إلى تعليق وهي للشاعر دريد بن الصمة وهو فارس شجاع وشاعر فحل جعله ابن سلام في كتابه طبقات الشعراء أول الشعراء الفرسان.

هذا الانتماء والتعصب للقبيلة ينتج عنه الأخذ بالثأر فالشاعر في أغلب الأحيان يقف موقف المتعصب المبالغ تجاه الأحداث التي تتصل بقبيلته فهو يفضل العدوان

على المسالمة والثأر على الدية من ذلك قول كبشه أخت عمرو بن سعد يكرب وهي تطالب بدم أخيها عبد الله ورفض الدية فيه:

أرسل عبد الله اذ حان يومه

إلى قومه لا تعقلوا لهم دمى

ولا تأخذ منهم إفالا وأبكرا

وأترك في بيت بصعدة مظلم

انها تتحدث على لسان أخيها حتى يكون قولها مؤثرا وحتى ترفض القبيلة الدية.

ويورد أبو تمام مقطوعة لقيس بن الخطيم في هذا المعنى فقد قتل جد هذا الشاعر ثم أبوه وهو صغير ولم تخبره أمه عن مقتلهما حتى كبر الغلام وعرف ذلك من أحد أصدقائه وعرف قاتل أبيه فقتله وانشد أبياتا في ذلك دونها أبو تمام في باب الحماسة.

ولم ينس أبو تمام أولئك الشعراء الذين تمردوا على قبائلهم كافرين بالتعصب القبلي مؤمنين بعصبية مذهبية معتمدين على قوتهم في الحصول على العيش ونقصد بذلك الشعراء الصعاليك الذين اشتهر منهم شعراء فرسان كعروة بن الورد والشنفرى وتأبط شرا. وقد خص أبو تمام في كتاب الحماسة عروة بن الورد سيد الصعاليك بثلاث مقطوعات ، كما أتى بقصة تأبط شرا مع ملاحقيه وكيف لجأ إلى حيلة العسل الذي صبه على صخرة وضع نفسه عليها من أعلى الجبل إلى أن انتهى إلى الأرض وهكذا نجا من مطارديه.

خلاصة القول أن أبا تمام قد تنبه إلى ما لم يتنبه إليه غيره فجمع من المختارات ما يتناول بالتفاصيل حياة العرب الاجتماعية والاقتصادية والفنية لذلك فإن مثل هذا المقال لا يكفي دراسة هذه النصوص،.

ولا يفوتني أخيرا أن ألاحظ أن أبا تمام قد أعطى أهمية كبرى للشعراء المقلين والمغمورين ولم يختر للشعراء المشهورين غير القليل وأنه اختار لشعراء الجاهلية وصدر الاسلام والعصر الأموي مركزا على شعراء البادية.

ومعنى ذلك أن الشعراء الذين اختار لهم لم يقولوا شعرا لاستمالة السامع أو لارضاء الغير وانما قالوا شعرا بدافع عواطفهم لان أبا تمام قد أدرك أنهم أصدق من يصور لنا الخلق العربي الصريح.

الهوامش:

(1) - شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي - دار المعارف ص 221 .

(2) - طه حسين: من حديث الشعر والنثر - دار المعارف ص 98 .

(3) - طه حسين: من حديث الشعر والنثر ص 98 .

(4) - خزانة الأدب ج 1 ص 172 ط بولاق.

(5) - شرح الحماسة للمرزوقي: تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون.

(6) - كشف الظنون ج 1، ص 454-455 .

(7) - الزمخشري: الكشاف ج 1، ص 45 - دار المصحف - 1977 .

(8) - عصا في نهايتها عقدة .

(9) - مقة: محبة.

(10) - عظيمة الثديين.

(11) - الوقصاء: القصيرة العنق.